الفصل الأول

الفصل الأول
قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى :
أسماء الله كلها حسنى (1) :

---

(1) على وزن فعلى ، مؤنث الأحسن وذهب ابن الوزير إلى أنها جمع للأحسن ولم نجد هذا لغير ابن الوزير بعد البحث في كتب اللغة والنحو والصرف بل انهم لم يذكروا فعلى بضم فسكون في أوزان المجموع البتة لا في باب المقصور والممدود ولا في باب جمع التكسير ولم نعثر على أحد ذكره من المفسرين والشراح وانما يذكرون ان الحسنى إما مؤنث الأحسن وإما مصدر وصف به كالذكرى .

وانظر تفسير ابن عاشور (8/186)

وقال في إيثار الحق على الخلق ص 67:

" وذلك أن الحسن من صفات الألفاظ ومن صفات المعاني ، فكل لفظ له معنيان حسن وأحسن ، فالمراد الأحسن منهما ، حتى يصح جمعه على حسنى ولا يفسر بالحسن منهما إلا الأحسن لهذا الوجه "

هذا وقد وصف الله أسماءه بالحسنى في أربعة مواضع هي :

I- { ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون } [الأعراف : 180]

ب- {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى}[الإسراء : 110]

جـ - { الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى } [طه : 8]

د - { هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم } [الحشر :24]

ووجه الحسن في أسماء الله أنها دالة على مسمى الله فكانت حسنى لدلالتها على أحسن وأعظم وأقدس مسمى وهو الله عز وجل 0

انظر تفسير فتح البيان لصديق حسن خان (5/82) والأسئلة والأجوبة الأصولية للسلمان ص 26

أي : بالغة في الحسن غايته (1) قال الله تعالى :(ولله الأسماء الحسنى) [الأعراف : 180] وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة (2) لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديراً (3)

مثال ذلك : " الحي " اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال (4) الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها 0

ومثال آخر : " العليم " اسم من أسماء الله متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان قال الله تعالى : (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) [طه : 52] العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً سواء ما يتعلق بأفعاله أو

(1) قيل إن المؤلف لو عبر بـ (كماله) بدلاً من (غايته) كان أولى والجواب أن المؤلف قد قصد بهذه الكلمة أن الأسماء هي في غاية الحسن أي أكمل ما يكون من الحسن كما نقلناه عن ابن الوزير ولهذا قال تعالى (الأسماء الحسنى)بصيغة التفضيل كما في حاشية الشهاب على البيضاوي (4/408) أي أن اسم التفضيل هنا مطلق فلم يقل أفضل من كذا ، وبهذا كانت الأسماء بالغة في الحسن غايته 0

(2) وبهذا نعلم أن أسماء الله متضمنة لصفات ومعان وأما إذا لم يدل على معنى ووصف فإنه ليس اسما له كالدهر فإنه اسم جامد لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات كما سيأتي في القاعدة الثانية 0

(3) أي لا تحمل النقص لا من حيث الاحتمال اللفظي ولا التقدير الذهني وسيأتي تفصيله في الملحق

(4) هذا التفسير لاسم الحي ذكره الإمام الطبري في تفسيره (3/5) حيث قال :

أما قوله (الحي) فإنه يعني : الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له يحد ولا آخر له يؤمد ، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود ، ، وآخر مأمود ، ينقطع بانقطاع أمدها ، وينقضي بانقضاء غايتها وبما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ا 0هـ

أفعال خلقه قال الله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابـس إلا فـي كتـاب مبيـن) [الأنعام : 59] (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) [هود : 6] (يعلم ما في السموات والأرض ويعلم

ما تســرون وما تعلنون والله عليـم بذات الصدور) [التغابن : 4]

مثال ثالث : : " الرحمن " اسم من أسماء الله تعالى متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم : " لله أرحم بعباده من هذه بولـدها " (1)

---

(1) الحديث رواه البخاري برقم (5999) وهو في المجلد (10/440) المطبوع مع الفتح ، ورواه مسلم في كتاب الرقائق من نسخة المفهم للقرطبي (7/84) ونص الحديث عن عمر بن الخطاب قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟" قلنا :لا والله ! وهي تقدر على ألا تطرحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله أرحم بعباده من هذه بولدها "

وقال القاضي عياض : كذا في جميع نسخ مسلم ولرواته فيه وهم وفي كتاب البخاري : تسعى مكان تبتغي وهو وجه الكلام وصوابه 0

قلت : ولا خفاء بحسن رواية تسعى ووضوحها لكن لرواية (تبتغي) وجه واضح فلا يغلط الرواة كلهم ، وذلـك أن تبتغـي معناه : تطلـب ولدهـا وحذف مفعوله للعلم بـه ا 0هـ من المفهم للقرطبي 0

يعني : أم صبي وجدته في السبي (1) فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته ومتضمن أيضاً للرحمة الواسعة التي قال الله عنها : (و رحمتي وسعت كل شيء) [الأعراف : 156] وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين : (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) [غافر : 7]

---

(1) السبي هو أسر الصبيان والنساء
انظر تحرير التنبيه للنووي ص 340 ، والدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي لابن عبدالهادي (3/742)

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده (1) ويكون باعتبار جمعه إلى غيره (2) فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال (3)

مثال ذلك:"العزيز الحكيم" فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً (4)

---

(1) وذلك كالأمثلة التي ذكرها المؤلف إلا أن هناك أسماء لا يكون الحسن بانفراده بل بجمعه إلى غيره وهي الأسماء المزدوجة وتعريفها : هي كل اسمين اقترن أحدهما بالآخر ولولا هذا الاقتران لما دل على الكمال فكانا كالصفة الواحدة في الدلالة على المعنى الممدوح ومن أمثلتها النافع الضار ، والمعطي المانع وسيأتي الكلام عليه في القاعدة التاسعة 0

وهناك أسماء يكون باعتبار جمعه كمال فوق كمال كما سيذكر المؤلف

وحاصل ذلك أن هناك قسمين من الأسماء الحسنى وهي :

1- أسماء يكون الحسن باعتبار انفراده وباعتبار جمعه يزيد كمالاً فوق كمال

2- أسماء لا يكون الحسن إلا باعتبار جمعه وسيأتي تفصيله في القاعدة التاسعة من قواعد الأسماء 0

(2) كالمثال الذي ذكره المؤلف وسنذكر في الملحق أمثلة أخرى كثيرة 0

(3) أي أن باقتران الاسمين دل على معنى زائد على معناها الأصلي لا يدلان عليه بالاستقلال 0

(4) يقول ابن القيم في مفتاح دار السعادة (2/485) ولهذا كثيراً ما يقرن تعالى بين هذين الاسمين (العزيز الحكيم) في آيات التشريع والتكوين والجزاء ليدل عباده على أن مصدر ذلك كله

عن حكمة بالغة وعزة قاهرة ففهم الموفقون عن الله عز وجل مراده وحكمته وانتهوا إلى ما وقفوا عليه ووصلت إليه أفهامهم وعلومهم وردوا علم ما غاب عنهم إلى أحكم الحاكمين ومن هو بكل شيء عليم وتحققوا بما عملوه من حكمته التي بهرت عقولهم إن لله في كل ما خلق وأمر وأثاب وعاقب من الحكم البوالغ ما تقتصر عقولهم عن إدراكه وأنه تعالى هو الغنى الحميد العليم الحكيم فمصدر خلقه وأمره وثوابه وعقابه غناه وحمده وعلمه وحكمته ليس مصدره مشيئة مجردة وقدرة خالية من الحكمة والرحمة والمصلحة والغايات المحمودة المطلوبة له خلقاً وأمراً وأنه سبحانه لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته ا 0هـ

فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو العزة في العزيز (1) والحكم والحكمة (2) في الحكيم والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً وسوء فعل كما قد يكون من أعزاء المخلوقين (3) فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف (4) وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل (5)

---

(1) اسم العزيز يتضمن صفة العزة .

(2) فاسم الحكيم يدل على صفة الحكم وصفة الحكمة وبهذا نعلم أن من أسماء الله ما يكون دالاً على عدة صفات ويكون ذلك الاسم

متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها ، ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد (1/168)

(3) كالملك مثلاً أو الأمير الذي لا يعارضه أحد لكمال سلطانه وعزته

(4) لأنه ليس له حكمة فلم يجمع بين العزة والحكمة بل هو عزيز غير حكيم وقد يوجد من يجمع بينهما فيكون قد أوتي خيراً كثيراً بخلاف عزة الله وحكمته فهما مقترنان

(5) أي أن بعض الناس عنده حكمة ويضع كل شيء في موضعه ويتصرف تصرفاً حسناً لكن ليس عنده عزة وقوة التى ينفذ فيها ما أراد أما الله عز وجل فحكمته مقرونة بالعزة 0

ملحق القاعدة الأولى

ذكرنا في الحاشية على القاعدة الأولى أننا سنتكلم في الملحق عن :

1- تفصيل القول في كلام المؤلف (لا احتمالا ولا تقديراً)

2- الأسماء المقترنة 0

أولاً : المراد من قول المؤلف (لا احتمالا ولا تقديراً)

سوف يتضح المراد من خلال تقسيمنا الألفاظ إلى أربعة أقسام وهي :

1- إما أن تدل على معنى ناقص لا كمال فيه كالعجز والفقر والعمى فهذا لا يجوز أن يسمى الله به فلا يسمى بالعاجز أو الفقير أو الخائن

2- ألفاظ تدل على النقص في حال وعلى الكمال في حال أي تحمل الوجهين في نفس المعنى مثل : المكر ، الكيد ، الاستهزاء فهذا لا يسمى الله به أيضاً فلا يقال : الماكر والمخادع والمستهزىء كما سيأتي في قواعد الصفات وهذا هو مراد المؤلف من لا احتمالا 0

3- ألفاظ تدل على الكمال لكن تحمل النقص بالتقدير الذهني كالمتكلم ، والمريد ، والفاعل والشائي (الذي يشاء)

مثاله : المتكلم قد يتكلم بخير وقد يتكلم بشر فلا يسمى الله به لأن أسماءه لا تحمل النقص ولو بالتقدير .

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الأصفهانية ص 5 : (وأما تسميته سبحانه بأنه مريد وأنه متكلم فإن هذين الاسمين لم يردا في القرآن ولا في الأسماء الحسنى المعروفة ، ومعناهما حق ، ولكن الأسماء الحسنى

المعروفة هى التي يدعى الله بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح وأما الكلام والإرادة فلما كان جنسه ينقسم إلى محمود كالصدق والعدل وإلى مذموم كالظلم والكذب والله تعالى لا يوصف إلا بالمحمود دون المذموم جاء ما يوصف به من الكلام والإرادة في أسماء تخص المحمود كاسمه الحكيم والرحيم والصادق والمؤمن والشهيد والرؤوف والحليم والفتاح ونحو ذلك 0

فلهذا لم يجىء في أسمائه الحسنى المأثورة المتكلم المريد ا 0هـ باختصار 0

وقال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (3/415) :

(وما كان مسماه منقسماً إلى كامل وناقص وخير وشر لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى كالشيء والمعلوم ولذلك لم يسم بالمريد ولا بالمتكلم وإن كان له الإرادة والكلام لانقسام مسمى " المريد " و " المتكلم " وهذا من دقيق

فقه الأسماء الحسنى فتأمله وبالله التوفيق) ا
0هـ بتصرف وانظر بدائع الفوائد (1/161)

4- ألفاظ دالة على غاية الكمال وليس فيها نقص أبداً لا احتمالا ولا تقديراً وهذا هو الذي يسمى الله به كالأمثلة التي ضربها المؤلف

ولمزيد من الإيضاح ننقل كلام الشيخ ابن عثيمين في شرحه على صحيح البخاري المخطوط ص 12 حيث قال حفظه الله :

(كل أسماء الله حسنى ولذلك قال الله تعالى : (وله الأسماء الحسنى) والحسنى اسم تفضيل يقابله في المذكر أحسن يقال رجل أحسن وامرأة حسنى ، وهنا قال الأسماء الحسنى فجعل الوصف وصف مؤنث لأن الأسماء جمع والجمع يوصف بالمؤنث إلا جمع العاقل فيوصف بحسب ما يقتضيه المعنى ، إن كان للذكور فجمع مذكر سالم وإن كان للإناث فجمع مؤنث سالم أما غير العاقل فإنه يجمع وصفه على جمع المؤنث ، إذاً أسماء الله تعالى كلها حسنى والحسنى هي المشتملة على أكمل وجوه الحسن فهي حسنى ليس فيها نقص بوجه من الوجوه فيفهم من هذه القاعدة – أنه لا يوجد في أسماء الله اسم يحتمل معنيين ، معنى حسن

ومعنى غير حسن ولهذا لم يكن من أسماء الله المتكلم ولا من أسمائه المريد مع أنه متكلم مريد ، قال العلماء : لأن المتكلم من قام به الكلام والكلام قد يكون حسناً وقد يكون سيئاً وكذلك الإرادة ولهذا لا يصح أن نسمى الله بالمتكلم أو نسمى الله بالمريد لكن يوصف بأنه متكلم وأنه مريد لأن باب الإخبار أوسع من باب التسمية لأن التسمية إنشاء تنشأ اسما للمسمى الذي تريد أن تسميه لكن الإخبار مجرد خبر ليس بإنشاء ولذلك قالوا الإخبار أوسع من الإنشاء فقد يخبر عن الشيء بشيئين ولا يسمى به مثل المتكلم وحينئذ يمكن أن نقسم ما يضاف إلى الله عز وجل إلى أربعة أقسام :-

القسم الأول :- ما تضمن كمال الحسن فهذا يكون من أسمائه 0

القسم الثاني : ما كان حسناً من وجه دون وجه فهذا يخبر به عنه ولا يسمى به

القسم الثالث : - ما كان محموداً في حال دون حال فهذا يوصف به في الحال التي يكون فيها محموداً ولا يسمى به على الإطلاق مثل المكر والخداع والاستهزاء والكيد هذه أوصاف إن ذكرت في مقابل من يعامل بهذه الأوصاف

صارت أوصافاً محمودة ويوصف الله بها وإلا فلا فمثلاً المكر وصف الله نفسه بأنه يمكر ولكن وصفاً مقيداً بمن يمكر به فقال : (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فلا يصح أن تقول إن الله ماكر وهذا هو الفرق بين هذا وبين قولنا الله متكلم لأنه يجوز أن نقول أن الله متكلم على وجه الإطلاق لكن لا يجوز أن تقول أن الله ماكر إلا إذا قيدته فقلت ماكر بمن يمكر به لأن المكر لا يكون مدحاً إلا حيث كان في مقابل مكر آخر ليتبين به أن قوة الله عز وجل أقوى من قوة هذا الماكر وكذلك نقول في الخداع (يخادعون الله وهو خادعهم) فلا تصح بأن تصف الله بأنه خادع أو مخادع على وجه الإطلاق قل خادع من يخادعه كذلك المستهزىء لا يصح أن نقول الله مستهزىء على سبيل الإطلاق بل نقول مستهزىء بمن يستهزىء به وكذلك الكيد نقول إن الله لا يكيد على أحد إلا من كاد عليه لقوله تعالـى (إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً)

القسم الرابع :- مالا يصح أن ينسب لله إطلاقاً وهو ما تضمن نقصاً مطلقاً فهذا لا يصح أن يضاف

إلى الله إطلاقاً مثل الخائن والعياذ بالله هذا لا يمكن أن نصف الله به مطلقاً اهـ 0

ثانياً : الأسماء المقترنة (1)

من يقرأ كتاب الله عز وجل يلاحظ اقتران أسماء الله الحسنى بعضها ببعض نحو الغنى الحميد والسميع البصير فما سر هذا الاقتران ؟

إن كل اسم من أسماء الله تعالى يتضمن صفة من صفاته سبحانه وكل صفة من صفاته صفة كمال فإذا اقترنت صفة كمال بصفة كمال أخرى نشأ عن ذلك كمال آخر غير الكمال الذي يدل عليه الاسم الواحد والصفة الواحدة مثال ذلك (الغفور الرحيم) فالمغفرة صفة كمال والرحمة صفة كمال آخر واقتران مغفرته برحمته كمال ثالث فيستحق سبحانه الثناء على مغفرته والثناء على رحمته والثناء على اجتماعهما

أضف إلى ما سبق أن اقتران الصفات الالهية ببعضها كمال عظيم ينشأ منه خير وفضل يحتاجه ويفيد منه

العباد ، كاقتران الغنى بالكرم مثلاً في قوله تعالى (فإن ربي غني كريم) [النمل : 40] إذ من المعلوم أنه ليس كل غني كريماً وليس كل كريم غنياً وإنك لن تفيد من الغني إذا كان بخيلاً ولا من الكريم إذا كان فقيراً وليس هناك من غني كريم غناه تام وكرمه تام إلا الله تعالى الأمر الذي يدفع بالعبد إلى الاعتماد عليه سبحانه وحده ورجائه دون غيره 0

إن ما سبق ليس سوى توضيح للكمال الذي ينشأ من اقتران الغنى بالكرم ولا ريب أن هناك كمالات أخرى عظيمة تنشأ من اقتران أسماء إلهية أخرى بعضها ببعض 0

ومما ورد ذكره من الأسماء الحسنى مقترنا في القرآن الكريم :

---

(1) من معالم التوحيد د 0 مروان القيسي ص 209

1- الله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين : الفاتحة

2- الله أحد الله الصمد : الإخلاص

3- البر الرحيم : الطور :28

4- التواب الرحيم : البقرة : 128

5- الحق المبين : النور : 25

6- الحكيم الحميد : فصلت : 42

7- الحكيم الخبير : الأنعام : 18

8- الحكيم العليم : الحجر : 25

9- الحليم الغفور : الإسراء : 44

10-الحميد المجيد : هود : 73

11- الحي القيوم : البقرة : 255

12- الخبير البصير : الإسراء : 17

13- الخالق البارىء المصور : الحشر : 24

14- الخلاق العليم : الحجر : 86

15- الرب الرحيم : يس : 58

16 – الرؤوف الرحيم : البقرة : 143

17- الرحمن الرحيم : الفاتحة

18 – الرحيم الغفور : سبأ : 2

19- الرحيم الودود : هود : 90

20- السميع البصير : الشورى : 11

21- السميع العليم : آل عمران : 34

22- السميع القريب : سبأ : 50

23- الشاكر العليم : النساء : 147

24- الشكور الحليم : التغابن : 17

25- العليم الحليم : الحج : 59

26- العليم الحكيم : الأنفال : 71

27- العليم القدير : الشورى : 50

28- العليم الخبير : التحريم :3

29- العفو الغفور : النساء : 43

30- العفو القدير : النساء : 149

31- العزيز الوهاب : ص : 9

32- العزيز الحكيم : آل عمران : 62

33- العزيز الحميد : إبراهيم : 1

34- العزيز الرحيم : الشعراء : 217

35- العزيز العليم : غافر : 2

36- العزيز الغفور : الملك : 2

37- العزيز الغفار : ص : 66

38- العزيز المقتدر : القمر : 42

39- العلي الحكيم : الشورى : 51

40- العلي الكبير : الحج : 62

41- العلي العظيم : الشورى : 4

42-الغفور الحليم : آل عمران : 155

43- الغفور الشكور : الشورى : 23

44- الغفور الرحيم : البقرة : 218

45- الغني الكريم : النمل : 40

46- الغني الحميد : البقرة : 267

47- الغني الحليم : البقرة : 263

48- الفتاح العليم : سبأ : 26

49- القوي العزيز : هود : 66

50- القريب المجيب : هود : 61

51- اللطيف الخبير : الأحزاب : 34

52- الملك الحق : طه : 114

53- الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر : الحشر : 23

54- الملك القدوس العزيز الحكيم : الجمعة : 1

55- المليك المقتدر : القمر : 55

56- الواسع الحكيم : النساء : 130

57- الواسع العليم : آل عمران : 73

58- الواحد القهار : الرعد : 16

59- الولي الحميد : الشورى :28

ومما ورد ذكره من الأسماء الإلهية مقترناً في السنة النبوية :

ـ التواب الغفور (1)

ـ الرحيم الحيي الكريم (2)

---

(1) لما رواه ابن عمر قال (إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول : " رب أغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور مائة مرة) أخرجه أحمد (2/21) و(2/67) و (2/84) وصححه الألباني في " الأحاديث الصحيحة " (556)

(2) لقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله رحيم حيي كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيراً) أخرجه الحاكم عن أنس وهو في صحيح الجامع الصغير (1768) 0

٨- الحيي الستير (1)

٩- العظيم الحليم (2)

ولعل الله ييسر لمن يفرد بحثاً في توضيح وجه الكمال في اقتران الأسماء في الكتاب والسنة 0

وللإمام ابن القيم كلام جميل في الحكمة من اقتران أسماء الله تعالى

وختم الآيات بها أنقلها للفائدة فقال : رحمه الله : " أمر سبحانه بتدبر كلامه والتفكر فيه ، وفي أوامره ونواهيه وزواجره ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة ، التي هي محل الفكر لما كان للتفكر فيه معنى وإنما دعاهم إلى التفكر والتدبر ليطلعهم ذلك على حكمته البالغة وما فيه من الغايات والمصالح المحمودة التى توجب لمن عرفها إقراره بأنه تنزيل من حكيم حميد 0

فإن ما في خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والأمر والغايات الحميدة أمر تشهد به الفطر والعقول ولا ينكره سليم الفطرة 0

ويذكر تعالى هذين الاسمين عند ذكر مصدر خلقه وشرعه تنبيهاً على أنهما إنما صدرا عن حكمة مقصودة مقارنة للعلم المحيط التـام لقوله :

(وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) [النمل : 6]

وقوله : (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) [الزمر : 1]

فذكره العزة المتضمنة لكمال القدرة والتصرف ، والحكمة المتضمنة لكمال الحمد والعلم .

---

(1) رواه أبو داود برقم (4012) ، والنسائي (1/70) ، والبيهقي (1/198) .

(2) لما رواه مسلم (48/83) عن ابن عباس (إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)

وقوله : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) [المائدة : 38]

وسمع بعض الأعراب قارئاً يقرؤها (والله غفور رحيم) فقال : ليس هذا كلام الله ، فقال : أتكذب بالقرآن ؟ فقال :لا ولكن لا يحسن هذا فرجع القارئ إلى خطئه فقال : (عزيز حكيم) فقال : صدقت

وإذا تأملت ختم الآيات بالأسماء والصفات وجدت كلامه مختتماً بذكر الصفة التي يقتضيها ذلك المقام حتى كأنها ذكرت دليلاً عليه وموجبة له وهذا كقوله :

(إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) [المائدة : 118] أي : فإن مغفرتك لهم مصدر عن عزة هي كمال القدرة لا عن عجز وجهل 0

وقوله :(ذلك تقدير العزيز العليم) [يس : 38وفصلت : 12والزخرف :9] في عدة مواضع من القرآن يذكر ذلك عقيب ذكره الأجرام العلوية وما تضمنه من فلق الإصباح وجعل الليل سكناً وإجراء الشمس والقمر بحساب لا يعدوانه وتزيين السماء الدنيا بالنجوم وحراستها وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه ليس أمراً اتفاقياً لا يمدح به فاعله ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية

ومن هذا ختمه سبحانه قصص الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء عقيب كل قصة : (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) [الشعراء : 9،68،104،122،140،159،175،191] فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم ولأعدائهم صادر عن عزة ورحمة فوضع الرحمة في محلها وانتقم من أعدائه بعزته ونجى رسله وأتباعهم برحمته والحكمة الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود وهي غاية الفعل لا أنها أمر اتفاقي 0

وأخبر تعالى بأن حكمه أحسن الأحكام وتقديره أحسن التقادير ولولا مطابقته للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة لما كان كذلك إذ لو كان حسنه لكونه مقدوراً معلوماً كما يقوله النفاة لكان هو وضده سواء فإنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فكان كل معلوم مقدور أحسن الأحكام وأحسن التقادير وهذا ممتنع قال تعالى : (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) [المائدة : 50] وقال : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) [النساء : 125] فجعل هذا أن يختار لهم ديناً سواه ويرتضي ديناً غيره كما يمتنع عليه العيب والظلم 0

وقال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) [فصلت : 33]

وقال : (فقدرنا فنعم القادرون) [المرسلات : 23]

وقال : (فتبارك الله أحسن الخالقين) [المؤمنون : 14]

فلا أحسن من تقديره وخلقه لوقوعه على الوجه الذي اقتضته حكمته ورحمته وعلمه 0

وقال تعالى : (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) [الملك : 3]

ولولا مجيئه على أكمل الوجوه وأحسنها ومطابقتها للغايات المحمودة والحكم المطلوبة لكان كله متفاوتاً أو كان عدم تفاوته أمراً اتفاقياً لا يحمد فاعله لأنه لم يرده ولم يقصده وإنما اتفق أن صار كذلك 0

وتأمل حكمه القرآن كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ : السميع العليم (1) في الأعراف وحم السجدة

---

(1) قال تعالى : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) [الأعراف : 200] وقال عز وجل : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) [فصلت : 36] 0

وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالأبصار بلفظ السميع البصير في سورة حم المؤمن فقال : (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) [غافر : 56] لأن أفعال هؤلاء معاينة ترى بالأبصار وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر ويدرك بالرؤية 0 كما جرت عادة

القرآن بتهديد المخاطبين وتحذيرهم بما يذكره من صفاته
التي تقتضي الحذر والاستقامة كقوله : (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم) [البقرة : 209] وقوله : (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً) [النساء : 134]
والقرآن مملوء من هذا وعلى هذا فيكون في معنى ذلك أني أسمع ما يردون به عليك وما يقابلون به رسالاتي ، وأبصر ما يفعلون ، ولا ريب أن المخاطبين بالرسالة بالنسبة إلى الإجابة والطاعة نوعان : أحدهما قابلوها بقولهم : صدقت ، ثم عملوا بموجبها ، والثاني قابلوها بالتكذيب ثم عملوا بخلافها ، فكانت مرتبة المسموع منهم قبل مرتبة البصر فقدم ما يتعلق به على ما يتعلق بالمبصر
اقتران الواسع بالعليم :
قال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) [البقرة : 261]
وقد ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها وهما الواسع والعليم فلا يستبعد

العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطنه (1) فإن المضاعف واسع العطاء واسع الغنى واسع الفضل ومع ذلك فلا يظن أن سعـة عطائـه تقتضي حصولها لكل منفـق فإنه عليـم بمـن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها ، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها ، فإن كرمه وفضله لا يناقض حكمته بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه 0

اقتران الغني بالحليم :

قال تعالى : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم) [البقرة : 263]

وختم الآية بصفتين مناسبتين لما تضمنته فقال : (والله غني حليم) وفيه معنيان :

أحدهما : أن الله غني عنكم لن يناله شيء من صدقاتكم وإنما الحظ الأوفر لكم في الصدقة فنفعها عائد عليكم لا إليه سبحانه وتعالى فكيف يمن بنفقته ويؤذي مع غنى الله التام عنها وعن كل ما سواه ومع هذا فهو حليم إذ لا يعاجل المنان بالعقوبة وفي ضمن هذا الوعيد والتحذير

والمعنى الثاني : أنه سبحانه وتعالى مع غناه التام من كل وجه فهو الموصوف بالحلم والتجاوز والصفح مع عطائه

الواسع وصدقاته العميمة فكيف يؤذي أحدكم بمنه وأذاه مع قلة ما يعطي ونزارته وفقره 0

---

(1) " عطنه ": العطن : المناخ حول الورد أي مبرك الإبل ومربض الغنم عند المساء 0 وفلان ضيق العطن : أي قليل الصبر والحيلة عند الشدائد ، بخيل

ولكمال غناه استحال إضافة الولد والصاحبة والشريك والشفيع بدون إذنه إليه ولكمال عظمته وعلوه وسع كرسيه السموات والأرض ولم تسعه أرضه ولا سمواته ، ولم تحط به مخلوقاته بل هو العالي على كل شيء وهو بكل شيء محيط ولا تنفد كلماته ولا تبدل ولو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مداداً وأشجار الأرض أقلاماً فكتب بذلك المداد وبتلك الأقلام لنفد المداد وفنيت الأقلام ولم تنفد كلماته إذ هي غير مخلوقة (1)

---

(1) أسماء الله الحسنى للإمام ابن القيم جمع وترتيب يوسف على وأيمن عبدالرزاق ص 296-301